

صديقي المستمع، بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح الرابع من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تُعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

أكد الرسول بولس في الأصحاح الثالث أن الإنسان الخاطيء يحصل على تبرير الله بواسطة الإيمان. في القسم الأول من الأصحاح الرابع أن رجال الله في العهد القديم حصلوا أيضا على بر الله بواسطة الإيمان. فتحدث الرسول بولس عن إبراهيم مؤكدا أن إبراهيم قد تبرر بالإيمان وليس بالأعمال. وأن الله حسب له الإيمان براء، وهو في حالة الغرلة وليس في الختان أي التطهير. وأتى الختان كعلامة لحصول إبراهيم على بر الله. والسبب كما أوضح الرسول بولس لكي يصبح إبراهيم أبا لجميع المؤمنين. أي للذين سيؤمنون وهم في حالة الغرلة وللذين في حالة الختان. وأكد الرسول بولس أن الختان لوحده لا يكفي، بل يجب أن يؤمن المختون كإبراهيم لكي يحصل على بر الله. أي أن كون الإنسان يهوديا مختونا فقط لا يبرره أمام الله.

لعل السؤال الذي لا بد أن يطرحه قارئ الرسالة عندها: لكن ماذا عن وعد الله لإبراهيم ولنسله بأنه يرث الأرض، ألم يكن ذلك على أساس الأعمال الصالحة التي قام إبراهيم؟ أجاب الرسول بولس عن هذا السؤال ابتداء من العدد الثالث عشر من الأصحاح الرابع فقال: "فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان". إذن حتى وعد الله لإبراهيم بأن يرث كان على أساس إيمانه، وليس على أساس أعماله الصالحة القائمة على الناموس أو شريعة الله. مع العلم أن الله لم يكن قد أعلن ناموسه أو شريعته بعد.

ولنلاحظ أن الرسول بولس استخدم في الآية هنا تعبير " وارثا للعالم". مع أن الله وعد قديما إبراهيم ونسله بورثة أرض معينة. فما هو السبب يا ترى؟ وعد الله إبراهيم قديما أنه سيجعله أمة عظيمة وأن بنسله ستبارك كل أمم الأرض. لقد كان الوعد بالبركة منذ البداية إذن يشمل أمم الأرض كلها، ولهذا أصبح الوعد بالورثة يشمل العالم كله وليس بقعة معينة منه. وبتعبير آخر إن الأرض كلها أعطيت لإبراهيم ميراثا. ولقد أعطى الله هذا الوعد لإبراهيم بسبب إيمانه وثقته في الرب، وليس بسبب أعماله الصالحة أو أي مجهود بذله. وهنا نجد نعمة الله المجانية ظاهرة بكل وضوح، ووعد الله غير المشروط الذي قدمه لإبراهيم بسبب إيمانه فقط، أي ردا على ثقته الكاملة به.

لعل السؤال الذي يُطرح الآن: لكن ماذا عن الوراثة، أي الذين يرثون هذا الوعد، أليسوا هم نسل إبراهيم من اليهود والذين عندهم ناموس الله أو شريعته؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال أيضاً بقوله في العدد الرابع عشر: "لأنه إن كان الذين من الناموس هم وريثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد." يبدو واضحاً إذن أن نسل إبراهيم بحسب الجسد أي اليهود لا يستطيعون أن يكونوا الوراثة لهذا الوعد، إذ يكون الله قد ناقض نفسه. لأن الله قد أعطى الوعد لإبراهيم على أساس الإيمان. وفي هذه الحالة يتعطل الإيمان أي يصبح عديم الفائدة ويبطل الوعد أي يصبح لاغياً.

ثم عاد الرسول بولس وذكر سبباً آخر لكون اليهود لا يستطيعون أن يكونوا الوراثة وهو: "لأن الناموس ينشئ غضباً إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد." (العدد ١٥) فماذا قصد الرسول بولس بهذه الآية؟ كما ذكرنا في لقاء سابق فإن الناموس يكشف لنا حقيقة نفوسنا الخاطئة. إن شريعة الله تُشخص لنا الداء لكنها لا تقدم لنا العلاج أو الدواء. وبسبب عجزنا لتطبيقها تقع في التعدي، أي نكسر هذه الشريعة. لكن كيف ينشئ الناموس غضباً كما ذكر الرسول بولس في هذه الآية؟ كما علمنا أيضاً من حلقات سابقة فإن كسرنا لشريعة الله لا بد أن يجلب علينا غضب الله أي دينونته. فإذا لم يكن اليهود هم الوراثة فمن هم الوراثة إذن؟

أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال في العدد السادس عشر عندما كتب قائلاً: "لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل. ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا." الوراثة إذن هم جميع المؤمنين، إن كانوا يهوداً من أتباع الناموس أم أمما لا يعرفون الناموس. فالله أعطى الوعد لإبراهيم عن طريق الإيمان، لكي يشمل وعده جميع المؤمنين بدون استثناء. ولهذا أصبح إبراهيم أباً للجميع. وهنا بالذات تتجلى نعمة الله التي تشمل الجميع.

وليدعم حجته بالنسبة لإبراهيم وحصوله على وعد الله بالإيمان، اقتبس الرسول بولس هذه الآية من العهد القديم: "كما هو مكتوب إني قد جعلتك أباً للأمم كثيرة. أمام الله الذي آمن به الذي يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة." (العدد ١٧) نعم لقد آمن إبراهيم بالله ووثق به أنه قادر أن يحيى الموتى، لا بل يجعل الأشياء غير الموجودة تصبح موجودة. ولهذا جعله الله أباً للأمم كثيرة أي لجميع المؤمنين. حقا ما أعظم إيمان إبراهيم.

وبذلك نستنتج أن الوعد بالأرض قديماً، كان مجرد رمز للوعد الحقيقي، وعد ملكوت الله الذي سيدشنه المخلص المسيح بمجيئه، والذي ستتبارك به حسب الوعد لإبراهيم كل أمم العالم. وبالتالي إن هذا الوعد سيشمل كل من يؤمن، ولن يكون مقتصراً على شعب معين أو اليهود فقط.

لحل السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن كل منا هو: كيف تجلى إيمان إبراهيم؟ أو ما هو البرهان العملي أن إيمان إبراهيم بالله كان قوياً وإلى هذه الدرجة؟ لقد أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال عندما كتب ابتداء من العدد الثامن عشر قائلاً: "فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً للأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك. وإذا لم يكن ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان نحو ابن مئة سنة ولا مماتية مستودع سارة." لقد وعد الله إبراهيم أن يكون أباً لجمهور من الأمم عندما كان عجوزاً، وكانت زوجته سارة عاقراً، وبدا أن الوعد مستحيل التحقيق. لكن بالرغم من كل هذا آمن إبراهيم بالوعد الإلهي وأن الله سينفذ ما وعد به. أي أن إبراهيم آمن ووثق بوعد الله بخلاف الواقع.

لهذا تابع الرسول بولس قائلاً: "ولا بعدم إيمان إرتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً. لذلك أيضاً حسب له برّاً." إن الله برر إبراهيم إذن بسبب إيمانه العظيم هذا. وعلينا أن لا ننسى أن إبراهيم وثق بالله حتى عندما طلب منه أن يقدم ابنه الوحيد إسحق ذبيحة، إذ علم أن الله قادر أن يحيي ابنه مرة ثانية. فما أعظم إيمانه.

لكن ماذا عنا نحن اليوم؟ ما هو نوع الإيمان المطلوب منا؟ لقد أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال إذ كتب في نهاية الأصحاح الرابع قائلاً: "ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له برّاً بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا." أي أن الله سيبررنا نحن أيضاً كما برر إبراهيم إذا آمنّا. أما موضوع الإيمان بالنسبة لنا هو أن نؤمن أن الله أقام المخلص يسوع المسيح من بين الأموات، بعد أن أتم عمل الفداء من أجلنا على الصليب. المطلوب منا إذن لكي نحصل على غفران الله وتبريره لنا هو أن نؤمن فقط. أي نؤمن بموت المسيح الكفاري من أجل خطايانا على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات.

على ضوء هذه الحقيقة الهامة، ما هو موقفك صديقي المستمع؟ هل مازلت تظن أن بإمكانك الحصول على تبرير الله وغفرانه بواسطة أعمالك الصالحة؟ إن الله مستعد أن يمنحك الغفران الكامل إذا آمنت به ووثقت بوعوده. حقا ما أعظم نعمة الله التي تستطيع الحصول عليها مجاناً وبدون أي ثمن. فهل تقبل عطية الله العظيمة المقدمة لك؟